معالم النظام النبوي

المناسبة: حلول ذكرى رحيل النبي الأكرم (ص)

الزمان والمكان: 24 صفر 1422هـ ـ طهران

الحضور: جموع المصلّين المؤمنين

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوكل عليه ونصلّي ونسلِّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سرّه ومبلغ رسالاته، بشير رحمته ونذير نقمته، سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين لاسيما بقية الله في الأرضين.

أوصي نفسي وكافة الإخوة والأخوات المصلين الأعزاء بالتقوى ومراقبة النفس بأعمالها وتصرفاتها، بل وحتى المراودات والتصورات الذهنية. اتقوا الله في جميع أحوالكم واستعينوا به وتوكلوا عليه واستهدوه وارجوا عونه.

تقترن هذه الأيام مع ذكرى رحيل نبي الإسلام الأعظم ـ الخيرة من البشرية على مر التاريخ والأب المعنوي للمسلمين وكافة المؤمنين بتكامل البشرية ورقيها ـ ومن واجبنا في ذكرى رحيل هذا العظيم أن نجسد الشكر بألسنتنا وأفئدتنا للجهود المضنية التي لم تعرف الكلل والمنقطعة النظير التي بذلها هذا الرجل الذي يمثل عصارة البشرية. كما تقترن هذه الأيام بذكرى شهادة سبط النبي الأكبر الإمام الحسن المجتبى وإمامنا الثامن علي بن موسى الرضا (عليهما الصلاة والسلام)، ولقد خصصتُ الخطبة الأولى لتقديم عرض موجز لسيرة النبي الأكرم (ص) خلال فترة السنوات العشر من حكم الإسلام في المدينة، وهي واحدة من أزهى حقب التاريخ البشري، بل لا مبالغة إن قلنا هي أزهاها على الإطلاق. وحري بنا اعتبار هذه الحقبة الاستثنائية الزاخرة بالأعمال هي صاحبة التأثير على التاريخ البشري. وإنني أوصي الإخوة والأخوات جميعاً لاسيما الشباب منهم بمطالعة تاريخ حياة النبي (ص) والاستلهام منها.

لقد كانت الفترة التي عاشها النبي (ص) في المدينة هي الفصل الثاني من بعثته التي استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، وفصلها الأول كان في مكة واستمر ثلاثة عشر عاماً ويعد مقدمة للفصل الثاني، أما السنوات العشر التي قضاها النبي (ص) في المدينة فهي تمثل سني إرساء قواعد النظام الإسلامي وبناء أنموذج الحكم الإسلامي لجميع أبناء

البشرية على مر التاريخ الإنساني في مختلف الأعصار والأمصار، وهـذا الأنمـوذج كامل لا نجد له نظيراً في أي حقبة أخرى، وبمقدورنا من خلال إلقاء نظرة على هـذا الأنموذج الكامل تحديد المعالم التي بها ينبغي لنبي البشر ومنهم المسلمون الحكم علـى الأنظمة وعلى الخلق؛ فلقد كانت غاية النبي (ص) من هجرته إلى المدينة هي مقارعـة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي بظلمه وطاغوتيته وفساده الذي كان سائداً على الدنيا وقتها، ولم يكن الهدف مكافحة كفار مكة وحسب، بل القضية ذات بعـد عـالمي أيضاً.

كان النبي الأكرم (ص) يتعقّب ذلك الهدف، فكان يغرس بذور الفكر والعقيدة أينمـا وجد الأرضية مناسبة لذلك، على أمل أن تخضر تلك البذور فـي الوقـت المناسـب، وغايته من ذلك كانت إيصال رسالة الحرية والنهوض وسعادة الإنسان إلى كافة القلوب، وذلك ما يتعذّر إلاّ عن طريق إقامة النظام النموذجي القدوة، لذلك فقد جاء النبي (ص) إلى المدينة لإقامة مثل هذا النظام النموذجي، أما ما هو القدر الذي يسع الأجيال اللاحقة مواصلته والاقتراب من هذا النموذج فذلك منوط بهم؛ فالنبي (ص) يبني النموذج ويقدمه للبشرية والتاريخ، والنظام الذي شيّده النبي (ص) كانت له الكثير من المعالم، أبرزهـا وأهمها سبعة هي:

الأول: الإيمان والمعنويات: فالدافع والماكنة الحقيقية التي تدفع بالنظام النبوي إلـى الأمام هو الإيمان المنبثق من قلوب الناس وعقولهم ويأخذ بكيانهم نحو طريق الصواب. إذن المعلم الأول يتمثل في تحريك روح الإيمان والمعنويات وترسيخها وتغذيـة أبنـاء الأمة بالمعتقد والفكر السليم، وهذا ما باشر به النبي (ص) في مكة ورفع رايتـه فـي المدينة بكل اقتدار.

الثاني: العدل والقسط: فكان منطلق العمل يقوم على أساس العدل والقسط وإعطاء كل ذي حق حقه دون أدنى مجاملة.

الثالث: العلم والمعرفة: فأساس كل شيء في النظام النبوي هـو العلـم والمعرفـة والوعي واليقظة، فهو لا يحرك أحداً نحو اتجاه معين حركة عمياء، بل يحوّل الأُمة عن طريق الوعي والمعرفة والقدرة على التشخيص إلى قوة فعالة وليست منفعلة.

الرابع: الصفاء والأخوة: فالنظام النبوي ينبذ الصراعات التي تغذيها الدوافع الخرافية والشخصية والمصلحية والنفعية ويحاربها، فالأجواء هي أجواء تتّسم بالصدق والأخـوة والتآلف.

الخامس: الصلاح الأخلاقي والسلوكي: فهو يزكي الناس ويطهرهم من رذائل الأخلاق وأدرانها، ويصنع إنساناً خلوقاً زكياً {ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة}[1]، فالتزكية هي إحدى المرتكزات الأساسية التي كان يستند إليها النبي (ص) في عمله التربوي مع أبناء الأمة فرداً فرداً لبناء الإنسان.

السادس: الاقتدار والعزة: فالمجتمع والنظام النبوي لا يتميز بالذيلية والتبعية والتسوّل من الآخرين، بل يتميز بعزته واقتداره وقدرته على اتخاذ القرار؛ فهو متى ما شخَّص موطن صلاحه سعى إليه وشق طريقه إلى الأمام.

السابع: العمل والنشاط والتقدم المطرد: فلا وجود للتوقف في النظام النبوي، بل الحركة الدؤوبة والتقدم الدائم، ولا معنى لدى أبنائه للقول ان كل شيء قد انتهى فلنركن إلى الدعة! وهذا العمل ــ بطبيعة الحال ــ مبعث لذة وسرور وليس مدعاة للكسل والملل والإرهاق، بل هو عمل يمنح الإنسان النشاط والطاقة والاندفاع.

قَدمَ النبي (ص) إلى المدينة ليقيم هذا النظام ويعمل على تكامله ويجعله أنموذجاً إلى أبد الدهر، ليقتدي به اللاحقون على امتداد التاريخ ممن تتوفر لديهم القدرة على إقامة نظام مماثل له، ليزرعوا الاندفاع في القلوب كي يغذّ بنو البشر السير نحو إيجاد مثل هذا المجتمع. وبديهي أن تحتاج إقامة مثل هذا النظام إلى دعائم عقائدية وإنسانية، فلابد أولاً من وجود معتقدات وأفكار سليمة كي يقام هذا النظام على أساسها؛ وقد بيّن النبي (ص) هذه الأفكار والرؤى في إطار كلمة التوحيد والعزة الإنسانية وسائر المعارف الإسلامية خلال فترة السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها في مكة، ثم علمها وفهمها الآخرين بشكل متواصل وعلى مدى لحظات حياته حتى وافاه الأجل في المدينة. وثانياً من الضروري وجود القواعد والدعائم الإنسانية كي يستقيم هذا البناء عليها، وذلك يعود إلى عدم ارتكاز النظام الإسلامي على فرد معين.. وقد باشر النبي (ص) بإعداد هذه الأعمدة في مكة؛ فكان منهم مجموعة من كبار الصحابة ــ على اختلاف مراتبهم ــ هم ثمرة الجهود المضنية والجهاد المرير خلال فترة السنوات الثلاث عشرة في مكة، فيما كانت هنالك مجموعة من الذين تغذوا على رسالة النبي (ص) قبل قدومه إلى المدينة من قبيل سعد بن معاذ وأبي أيوب وغيرهما.

ولما حلّ النبي (ص) في المدينة باشر منذ دخوله فيها بعملية بناء الإنسان، ومع مرور الأيام أخذت ترد إلى المدينة شخصيات تتّسم بجدارتها الإدارية وجلالة القدر

---

[1] سورة الجمعة، الآية: 2.

والشجاعة والتضحية والإيمان والاقتدار والمعرفة حتى أصبحت عماداً صلبة لهذا الصرح الشامخ الرفيع.

لقد كانت هجرة النبي (ص) إلى المدينة ــ التي كانت تسمى قبل حلوله فيها "يثرب" ثم سميت "مدينة النبي" بعد دخوله لها ــ بمثابة نسائم ربيع عمّت أجواء المدينة فشعر أهلها كأن انفراجاً حل فيهم جذب القلوب وأيقظها؛ فحينما سمع أهل المدينة بوصول النبي (ص) إلى قبا ــ وهي على مقربة من المدينة ومكث فيها خمسة عشر يوماً ــ كان الشوق للقيادة يغلي في قلوبهم يوماً بعد يوم، وكان بعضهم يتوجه إلى قبا لرؤية النبي (ص) فيما بقي الآخرون ينتظرونه في المدينة، وعندما دخل النبي (ص) المدينة تبدل ذلك الشوق وذلك النسيم إلى عاصفة ألهبت قلوب الناس فغيرتها، وسرعان ما نما لديهم الشعور بأن جميع ما لديهم من متبنيات وعواطف وارتباطات وعصبيات قبلية قد ذابت بطلوع محيّا هذا الرجل وسلوكه ومنطقه، واطلعوا على نافذة جديدة تطل بهم نحو حقائق عالم الخلق والمعارف الأخلاقية، فكان أن أحدثت هذه العاصفة تغييراً في القلوب بادئ الأمر ثم امتدت إلى تخوم المدينة لتخرج فيما بعد إلى قلاع مكة فتسخرها لتنطلق في خاتمة المطاف لتشق طريقها إلى ما هو أبعد فتقدم إلى أعماق إمبراطوريتي ذلك الزمان، وحيثما توجهت فإنها تحيي القلوب وتغير بواطن البشر؛ ففي صدر الإسلام فتح المسلمون بقوة إيمانهم بلاد إيران والروم، وأيّما قوم طالهم هجوم المسلمين كان الإيمان يداعب قلوبهم بمجرد رؤيتهم للمسلمين.

كانت الغاية من السيف إزالة العراقيل عن الطريق والقضاء على أقطاب الأثرياء والناهبين، أما السواد الأعظم من الناس فقد استقبل هذه العاصفة، فكان أن نفذ الإسلام إلى أعماق إمبراطوريتي الزمان ــ أي إيران والروم ــ وأصبحتا جزءاً من النظام والدولة الإسلامية. وكل ذلك حصل في ظرف أربعين سنة، عشر منها في عهد الرسول (ص) وثلاثون منها بعد رحيله.

لقد باشر النبي (ص) عمله بمجرد أن حل في المدينة، ومن العجائب التي حفلت بها حياته (ص) أنه وطوال تلك السنوات العشر لم يهدر لحظة واحدة، فلم يُرَ (ص) غافلاً عن إنارة مشعل الهداية والمعنويات والتعليم والتربية ولو لحظة واحدة؛ فلقد كانت يقظته ونومه، مسجده وداره، دخوله لساحة الحرب، مسيره في الطرقات والأسواق، معاشرته لأسرته، وكل وجوده أينما حلّ، درساً.

يا لها من بركة زخر بها هذا العمر! فالشخص الذي شغل التاريخ برمته وترك بصماته عليه ــ ولقد قلت مراراً إن الكثير من المفاهيم التي اكتست وشاح القدسية على مدى القرون التالية من قبيل المساواة والأخوة والعدالة وحاكمية الأمة، إنما هي متأثرة

بتعاليمه (ص) ولم يكن لها أثر في تعاليم سائر الأديان أو لم يقدر لها البروز على أقل تقدير ــ كان نشاطه الحكومي والسياسي والاجتماعي قد دام عشراً من السنين لا غير! فيا لها من حياة ميمونة!

لقد حدد (ص) موقفه منذ الوهلة الأولى لدخوله المدينة، فلما دخلت ناقته يثرب أحاط بها الناس؛ يومها كانت يثرب مقسمة إلى أحياء تضم بيوتاً وأزقة ومتاجر كل منها يعود لواحدة من القبائل التابعة إما للأوس أو الخزرج.. كانت الناقة تمر من أمام قلاع هذه القبائل فيخرج كبارها ويأخذون بركاب الناقة منادين: يا رسول الله، هذه ديارنا وثرواتنا وأموالنا كلها في خدمتك، فكان الرسول (ص) يقول لهم: «دعوا الناقة فإنها مأمورة»[2]، لكن كبار القوم وأشرافهم، شيوخهم وشبابهم اعترضوا ناقة النبي (ص) قائلين: انزل هنا يا رسول الله؛ فالدار دارك وكل ما لدينا في خدمتك، لكنه (ص) كان يقول لهم: دعوا الناقة فإنها مأمورة. وهكذا طوت الناقة الطريق حياً بعد حيّ حتى وصلت حي بني النجار الذين تنتمي إليهم أم الرسول (ص)، ونظراً لأنهم يعتبرون أخوال النبي (ص) فقد جاؤوه وقالوا: يا رسول الله! إن لنا بك لقرابة فانزل عندنا، فقال (ص) دعوا الناقة فإنها مأمورة، فانطلقت الناقة حتى حطت رحالها في أكثر أحياء المدينة فقراً، فمدّ الناس أعناقهم ليعرفوا مَنْ صاحب الدار التي حطت بها الناقة، فإذا به أبو أيوب الأنصاري أفقر أهل المدينة أو أحد فقرائها.

عمد أبو أيوب الأنصاري وعياله الفقراء المعوزون إلى أثاث النبي (ص) فنقلوه إلى دارهم وحل النبي (ص) ضيفاً عليهم، فيما رد الأعيان والأشراف والمتنفذين وذوو الأنساب وأمثالهم؛ أي أنه حدّد موقعه الاجتماعي فاتضح من خلال ذلك عدم تعلق هذا الرجل بالثروة والنسب القبلي والزعامات القبلية والانتماء الأُسري والعائلي وعدم ارتباطه بالمتحايلين الوقحين ولن يكون كذلك، فهو (ص) حدد منذ الوهلة الأولى طبيعة سلوكه الاجتماعي وأيّاً من الفئات يساند ولأيّ من الطبقات ينحاز ومَنْ هم الذين سينالون القسط الأوفر من فائدة وجوده.. فالجميع كانوا ينتفعون من وجود النبي (ص) وتعاليمه، بَيْدَ أن الأكثر حرماناً كان أكثر انتفاعاً منه، دافعه في ذلك التعويض عن حرمانه.

كانت قبالة دار أبي أيوب الأنصاري قطعة أرض متروكة فسأل (ص) عن صاحبها، فقيل إنها ليتيمين، فدفع لهما ثمنها واشتراها ثم أمر ببناء مسجد عليها، فكان بمثابة مركز سياسي عبادي اجتماعي وحكومي ومركز يتجمع فيه الناس، فكانت الضرورة تقتضي بناء مركز يمثل المحورية، من هنا فقد باشروا ببناء المسجد، ولم يطلب (ص)

---

[2] السيرة الحلبية: ج2، ص 244.

قطعة أرض من أحد أو يستوهبها، بل اشتراها بأمواله، وبالرغم من عدم وجود محام عن هذين اليتيمين فإن النبي (ص) راعى الدقة في أداء حقوقهما كاملة تامّةً كالأب والمدافع عنهما. وعندما باشروا ببناء المسجد كان النبي (ص) من أوائل المسلمين ــ أو أولهم ــ ممن أمسك بالمعول وباشر بحفر أرض المسجد، ولم يكن عمله رمزياً بل كان عملاً حقيقياً بحيث كان العرق يتصبب منه (ص)، فكان عمله بالمستوى الذي أثار بعض الذين تنحوا جانباً، فقالوا: أنجلس والرسول يعمل؟! فلنذهب ونعمل، فجاؤوا وانهمكوا في العمل حتى شيّدوا المسجد خلال برهة وجيزة، وبذلك أثبت النبي (ص) ــ ذلك القائد العظيم ــ أنه لا يرى أي حقّ لشخصه، فإذا ما كان هنالك عمل فلابد أن تكون له مساهمة فيه.

ثم انه (ص) وضع الأطر الإدارية والسياسية لذلك النظام، ولو أن المرء ألقى نظرة على التطور الذي خطاه بذكاء وفطنة لأدرك أي عقل وفكر ودقة وحنكة تقف وراء تلك العزيمة والإرادة القاطعة الصلبة التي لا يمكن تحققها ظاهراً إلاّ برفد من الوحي الإلهي، وحتى يومنا هذا فإن الذين يحاولون تتبع وقائع تلك السنوات العشر خطوة خطوة فإنهم يعجزون عن استيعاب أي شيء، وإذا ما حاول المرء دراسة كل واقعة على حدة فإنه لا يدرك منها شيئاً، بل عليه أن يدقق النظر ويلحظ تسلسل الأعمال وكيفية إنجاز كل تلك المهام بتدبير ووعي وحسابات دقيقة.

كانت الخطوة الأولى تتمثل في إرساء الوحدة، فلم يدخل أهل المدينة بأجمعهم الإسلام، بل أكثرهم اعتنق الإسلام، فيما بقيت القلة منهم خارج إطار الإسلام، بالإضافة إلى أن ثلاثاً من قبائل اليهود المهمة كانت تقطن المدينة، في القلاع الخاصة بهم على مقربة من المدينة وهي قبائل بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وهذه القبائل جاءت إلى المدينة قبل قرن أو قرنين من ذلك التاريخ، وقصة مجيئهم إلى المدينة قصة طويلة لها تفاصيلها، وعند دخول النبي (ص) إلى المدينة كانت لهؤلاء اليهود ثلاث مزايا: أولاها: سيطرتهم على الثروات الأساسية في المدينة وأهم مزارعها وتجارتها ومنافعها وأهم صناعاتها التي تدرّ بالأرباح وهي صناعة الذهب وغيرها، والغالبية من أهل المدينة كانوا يرجعون إليهم لسد حوائجهم والاستلاف منهم وتسديد الربا إليهم؛ أي أنهم كانوا يقبضون على كل شيء من الناحية الاقتصادية. والثانية: تفوقهم على أهل المدينة من الناحية الثقافية؛ فهم كانوا أصحاب كتاب وعلى إطلاع على مختلف المعارف والعلوم الدينية والمسائل التي تجهلها عقول أهل المدينة ذات الطبيعة شبه الهمجية. من هنا فقد كانت لهم الهيمنة الفكرية، وإذا ما أردنا وصفهم وفقاً للمصطلحات المعاصرة فبإمكاننا القول إنهم كانوا يشكلون طبقة مثقفة، لذلك كانوا يستهينون بأهل المدينة

ويسخرون منهم، وربما كانوا يتصاغرون حينما يتعرضون للأخطار أو عند الضرورة، غير أن التفوق كان لهم في الحالات الطبيعية. أما الميزة الثالثة فهي اتصالهم بالمناطق النائية عن المدينة، فلم يتقوقعوا في إطار حدود المدينة؛ إنهم كانوا يمثّلون واقعاً قائماً في المدينة، فكان على النبي (ص) وضعهم في الحسبان.. فكان أن أوجد (ص) ميثاقاً عاماً جماعياً، فلدى حلول النبي (ص) في المدينة اتضح أن قيادة مجتمعها إنما هي منحصرة به (ص) دون أن يبرم عقداً أو يطلب شيئاً من الناس أو يدخل في مباحثات مع أحد، أي أن عظمته وشخصيته سخرت الجميع أمامه، لقد تجلت قيادته وعلى الجميع التحرك والمبادرة حول محوريته، والميثاق الذي سار عليه النبي (ص) أصبح موضع قبول من لدن الجميع، فكان شاملاً للسلوك الاجتماعي: المعاملات، النزاعات، الدية، علاقة النبي (ص) مع معارضيه وموقفه من اليهود ومن غير المسلمين، وكل ذلك كان مدوناً ومفصلاً ولعله يحتل صفحتين أو ثلاثاً كباراً من كتب التواريخ القديمة.

الخطوة الثانية كانت في غاية الأهمية وهي إشاعة روح الأخوة؛ فلقد كانت الأشرافية والعصبيات الخرافية والأبّهة القبلية وحالة الانفصال بين مختلف الطبقات أبرز الأمراض التي كانت تعاني منها المجتمعات الجاهلية العربية يوم ذاك؛ والنبي (ص) بإشاعته للأخوّة سحق هذه النعرات تحت قدميه، فلقد آخى بين رئيس القبيلة وبين من هو بمستوى دانٍ أو متوسط، وهؤلاء بدورهم ارتضوا هذه الأخوة طائعين، ووضع السادة والأشراف إلى جانب العبيد من المسلمين والمعتَقين، وبذلك فقد قضى على العوائق في طريق الوحدة الاجتماعية.

عندما أراد (ص) اتخاذ مؤذن لمسجده، كان ذوو الحناجر الجهورية والهندام الجميل والمشاهير من الشخصيات من الكثرة بمكان، لكنه اختار من دونهم بلال الحبشي الذي كان يفتقد الجمال والصوت الحسن والشرف العائلي والنسبي، فالمناط كان الإسلام والإيمان والجهاد والتضحية في سبيل الله لا غير. لاحظوا كيف أنه (ص) حدد القيم على صعيد العمل؛ فقبل أن يترك كلامه بصماته على القلوب، كانت أعماله وسيرته وهديه هي التي تؤثر.

وبغية إنجاز هذه المهمة كانت هنالك ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: إرساء قواعد النظام عبر هذه الممارسات. والمرحلة الثانية: صيانة النظام؛ فمن الطبيعي أن يكون هنالك من يعادي هذا الكيان المتنامي المتعاظم الذي لو أحسَّ به الطواغيت لشعروا بالخطر إزاءه، ولو لم تكن لدى النبي (ص) القدرة على الدفاع عن هذا الوليد الميمون بحنكة في مقابل الأعداء، فسيزول هذا النظام وتذهب جهوده سدى، فلابد له من صيانته. أما المرحلة الثالثة: فهي عبارة عن إكمال البناء

وإعماره، فلا تكفي عملية الإرساء بل هي الخطوة الأولى. وهذه المراحل الثلاث تسير إلى جانب بعضها عرضياً.

إن عملية إرساء القواعد تأتي بالدرجة الأولى بَيْدَ أنه يتعين الحذر من العدو أثناءها، وهكذا تأتي مرحلة الصيانة، حيث يتم خلالها الاهتمام ببنـــاء الأشـــخاص والكيانـــات الاجتماعية ومن ثم تتواصل المراحل اللاحقة.

أعداء النظام النبوي

كان النبي (ص) يرى أن ثمة خمسة أصناف من الأعداء يتربصون بهـــذا المجتمـــع الفتي وهم عبارة عن:

العدو الأول: وهو عدو ضئيل الأهمية ومحدود، ولكن ينبغي عدم التغافل عنه فـــي نفس الوقت، فلربما يتسبب في بروز خطر داهم. من هو هذا العدو؟ إنه القبائـــل شـــبه الهمجية التي تحيط بالمدينة؛ فعلى بعد عشرة أو خمسة عشر أو عشرين فرســـخاً مـــن المدينة تعيش قبائل جل حياتها عبارة عن تقاتل وإراقة للدماء وإغارة ونهب وسلب، وإذا كان النبي (ص) يصبو إلى إقامة مجتمع سليم آمنٍ ووادع في المدينة فما عليـــه إلاّ أن يحسب لهؤلاء حسابهم، وهكذا فعل (ص)، حيث تعاهد مع مَنْ تتـــوفر فيـــه أمـــارات الصلاح والهداية، ولم يبادرهم بالدعوة للإسلام بادئ الرأي، بل عاهدهم مع بقائهم على كفرهم وشركهم؛ بغية تجنب تحرشاتهم.

لقد كان النبي (ص) ملتزماً بتعهداته ومواثيقه وهذا ما سأتطرق إليه أيضـــاً، لكنـــه لاحق الأشرار ومَن لا عهد لهم وعالج مشكلتهم، وما طرق أسماعكم من بعـــث النبـــي (ص) للسرايا، حيث كان يرسل الخمسين أو العشرين من المسلمين في سرايا، إنما كان لملاحقة هؤلاء الذين تأبى طبيعتهم الوئام والهداية والصلاح ولا يستقر لهـــم حـــال إلاّ بإراقة الدماء والتوسل بالقوة، فكان أن لاحقهم النبي (ص) وقمعهم وأخمد نارهم.

العدو الثاني: كانت مكة بمثابة المحور، وبالرغم من عدم وجود حكومـــة بـــالمعنى المتعارف عليه فيها، بَيْدَ أن ثمة مجموعة من الأشراف المتكبرين العتاة المتنفذين كانت تحكم مكة، وهم على اختلافهم كانوا متحدين بوجه هذا المولود اليافع الجديد، وكان النبي (ص) على علم بأن الخطر الجسيم إنما ينطلق منهم، وقد حصل ذلـــك عمليـــاً. وكـــان الشعور يراود النبي (ص) بأنه لو توانى حتى يداهموه هم فإن الحظ سيحالفهم، لذلك فقد تتبعهم لكنه لم يقصد مكة، بل اعترض قافلتهم التي كانت تمر على مقربة من المدينـــة فكانت معركة بدر أهم عمليات التعرّض وتمثل باكورة عمله. لقد تحرش بهـــم النبـــي (ص) فجاؤوا لحربه تدفعهم العصبية والعناد والإصرار. واستمر الوضع علـــى هـــذه الحالة لمدة أربع أو خمس سنوات؛ أي أن النبي (ص) لم يتركهم وشأنهم، وكانوا فـــي

المقابل يمنّون أنفسهم باستئصال هذا الوليد الجديد ــ أي النظام الإسلامي ــ الذي يتحسسون منه الخطر، وعلى هذا الصعيد جاءت معركة أُحد وغيرها من المعارك.

كانت معركة الخندق آخر المعارك التي شنوها ضد النبي (ص) ــ وهي واحدة من أهمها ــ حيث استجمعوا قواهم واستعانوا بالآخرين أيضاً للقضاء على النبي (ص) وعدة مئات من أصحابه المقربين ــ حسب زعمهم ــ ونهب المدينة ثم يعودون وقد ارتاحت خواطرهم حيث لا أثر للنبي (ص) وأصحابه؛ وقبل قدومهم نحو المدينة كان النبي (ص) قد علم بالأمر فبادر إلى حفر خندق عرضه أربعين متراً تقريباً من الجهة التي يسهل اختراقها. كان ذلك في شهر رمضان والمناخ قارص البرودة كما تنقل الروايات، ولم يهطل المطر في ذلك العام، من هنا فقد عمّ الجدب وعانى الناس من المصاعب.

كان النبي (ص) أكثر الناس عملاً في حفر الخندق[3]؛ فحيث وقعت عيناه على مَن أعياه العمل وأصيب بالإرهاق أو عجز عن المواصلة، كان (ص) يتناول معوله ويمارس العمل والبناء بدلاً عنه؛ فلم يسجل حضوره بإصدار الايعازات فقط، بل كان يشارك المسلمين بكيانه ووجوده أيضاً، ولمّا رأى الكفار الخندق ولمسوا عجزهم أصيبوا بالإحباط والهزيمة وافتضح أمرهم، وأخيراً اضطروا للانسحاب، إذ ذاك نادى النبي (ص) بأن الأمر قد انتهى، وهذه كانت آخر المعارك التي يشنّها كفار مكة ضد المسلمين، وقد حلّ دور المسلمين للتوجّه نحو مكة.

بعد عام من تلك الواقعة أراد النبي (ص) التوجّه إلى مكة لأداء العمرة ــ وأثناء ذلك وقع صلح الحديبية[4] الغني بالمعاني والأهداف ــ وكان مسير النبي (ص) إلى مكة في شهر محرم الحرام ــ حيث كانوا يحرّمون فيه القتال ــ فأصبحوا في حيرة من أمرهم ما عساهم صانعين؛ أيسمحون له بالتقدّم في مسيره؟ وماذا سيفعلون إزاء نجاحه هذا، وكيف يواجهونه؟ أيقاتلونه وهم في شهر محرم؟ وكيف يقاتلونه؟ وأخيراً قرروا عدم السماح له وإبادته هو وأصحابه إن سنحت لهم الفرصة.

تميّز تصرّف النبي (ص) بأسمى درجات التدبير، حيث قام بما دفعهم لأن يجلسوا مع النبي (ص) ويبرموا معه صلحاً لكي يعود إلى المدينة على أن يأتي في العام القادم لأداء العمرة، وتفتحت الأجواء جميعها أمام النبي (ص) من أجل التبليغ؛ كان ذلك

---

[3] تاريخ الإسلام، الذهبي، ج2، ص:285.

[4] تاريخ الطبري: ج2، ص255.

صلحاً، بَيْدَ أنّ الباري تعالى يصرّح في كتابه بالقول: {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً}[5] [6]. ومن يراجع مصادر التاريخ المتقدمة والصحيحة يجد العجب في واقعة صلح الحديبية.

وفي العام التالي توجّه النبي (ص) لأداء العمرة وأخذت شوكته تزداد قوة يوماً بعد يوم، ولما نقض الكفار العهد في العام اللاحق ــ أي العام الثامن للهجرة ــ تقدّم نحوهم النبي (ص) وفتح مكة، فكان فتحاً عظيماً ينبّئ عن اقتدار النبي (ص) وتمكّنه.

وتأسيساً على ذلك فقد اتّسم تعامل النبي (ص) مع هذا العدو بالتدبير والاقتدار والتأنّي والصبر بعيداً عن الارتباك، ولم يتراجع أمامه ولو خطوة واحدة، بل كان يتقدّم نحوه يوماً بعد يوم وآناً بعد آن.

العدو الثالث: وهم اليهود؛ أي الدخلاء الغدرة الذين سرعان ما عبّروا عن استعدادهم لمعايشة النبي (ص) في المدينة, لكنهم لم يقلعوا عن أعمال الإيذاء والتخريب والخيانة، ولو تمعّنتم جيداً في سورة البقرة وبعض السور الأخرى من القرآن الكريم لوجدتم أنها تختص بطريقة تعامل النبي (ص) وصراعه الثقافي مع اليهود؛ فقد تقدم القول: بأن هؤلاء كانوا على قدر من العلم والوعي وذوي تأثير كبير على أفكار ضعاف الإيمان من الناس ويحيكون الدسائس ويزرعون اليأس في قلوب الناس ويثيرون الفتن بينهم، فكانوا يمثّلون عدواً منظماً، فكان النبي (ص) يسلك معهم سبيل المداراة ما أمكنه، لكنه لما لمس منهم عدم استجابتهم لهذه المداراة بادر إلى معاقبتهم، ولم تأتِ مباغتة النبي (ص) لهم دون سبب أو مقدمات، بل إنّ كلاً من هذه القبائل الثلاث ارتكبوا أفعالاً فعاقبهم النبي (ص) بما يوازي فعلتهم؛ فلقد خان بنو القينقاع النبي (ص) فتوجّه نحوهم وأمرهم بالجلاء وأخرجهم من ديارهم تاركين ثرواتهم للمسلمين.

والفئة الثانية هم بنو النضير[7] الذين خانوا النبي (ص) أيضاً ــ وقصة خيانتهم مهمة ــ فأمرهم النبي (ص) بحمل بعض أمتعتهم والرحيل.

أما الفئة الثالثة وهم بنو قريظة[8] فقد منحهم النبي (ص) الأمان وسمح لهم بالبقاء في المدينة ولم يبعدهم عنها، وأبرم معهم عقداً على أن لا يسمحوا للعدو بالتسلل من أحيائهم في معركة الخندق، لكنهم غدروا وتعاقدوا مع العدو على الوقوف إلى جنبه لمقاتلة النبي (ص)؛ أي أنهم لم يكتفوا بتنصّلهم عن عهدهم مع النبي (ص)، بل في الوقت الذي بادر

---

[5] سورة الفتح، الآية: 1.

[6] أسباب النزول، الواحدي، ص: 255.

[7] السيرة النبوية، ابن كثير،ج3: 145.

[8] السيرة النبوية، ابن كثير،ج3: 223.

رسول الله (ص) إلى حفر الخندق في الجهة التي يسهل اختراقها وسلّمهم الجهة التي تقع عليها أحياؤهم ليمنعوا العدو من التسلل عبرها، ذهبوا للتفاوض والحوار مع العدو ليدخلوا معاً من تلك الجهة ويطعنوا النبي (ص) من الخلف.. وفي تلك الأثناء علم الرسول (ص) بهذه المؤامرة، وكان حصار المدينة قد استمر شهراً، وقد وقعت خيانة هؤلاء في منتصف هذا الشهر، فلجأ (ص) إلى عمل في غاية الذكاء ألقى من خلاله الوقيعة بينهم وبين قريش ــ ووردت تفاصيله في كتب التاريخ ــ فقد قام (ص) بعمل أطاح بالثقة التي تربطهم مع قريش، وفيه تجلّت واحدة من الخطط السياسية العسكرية الرائعة للرسول الأكرم (ص)؛ أي أنه (ص) عاجلهم ليوقفهم عن توجيه أية ضربة للمسلمين، وحينما انهزمت قريش وحلفاؤها وابتعدوا عن الخندق وقفلوا راجعين إلى مكة صلى النبي (ص) الظهر، ثم دعا إلى صلاة العصر قبالة قلاع بني قريظة[9]، فتوجّه نحوهم؛ أي أنه لم يمهلهم ولو ليلة واحدة، فحاصرهم لمدة خمسٍ وعشرين يوماً تواصلت خلالها المناوشات بين الطرفين، ثم إنّ النبي (ص) قتل مقاتليهم لفداحة خيانتهم وعدم إمكانية إصلاحهم.

هكذا تميّز تعامل النبي (ص) مع هؤلاء ــ أي اليهود ــ فقد اتّسم بالتدبير والقوة والإصرار المقترن بالأخلاق الإنسانية العالية، لإزالة هيمنة اليهود من بني قريظة ومن قبلهم بني النضير وأخيراً يهود خيبر، وفي كل هذه المواطن لم ينقض النبي (ص) عهداً أبداً، وهذا ما يذعن له حتى أعداء الإسلام، بل أُولئك هم الذين نقضوا العهود.

العدو الرابع: وهم المنافقون في داخل المدينة من الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، بلداء معاندون يتميّزون بضيق الرؤية والقابلية على التعاون مع العدو، لكنهم يفتقدون التنظيم وهذا ما يميّزهم عن اليهود.

لقد كان النبي (ص) يتعامل مع العدو المنظم الواثب لمهاجمة المسلمين كتعامله مع اليهود ولم يمهلهم أبداً، لكنه كان يتحمّل العدو غير المنظم ممن تلوّث أفراده بالعناد والخبث والعداء والكفر؛ فلقد كان عبد الله بن أُبي من ألدّ أعداء النبي (ص) وقد عاصر الرسول (ص) حتى آخر سنة من عمره تقريباً، ولم يسئ (ص) التعامل معه مع علم الجميع بنفاقه، وكان (ص) يداريه ويعامله كباقي المسلمين من حيث عطائه من بيت المال وصيانة أمنه وحرمته، كان ذلك منه (ص) بالرغم من خبث هذه الفئة وإساءتها، وفي سورة البقرة مقطع يختص بهؤلاء المنافقين.

---

[9] البداية والنهاية، ابن كثير، ج4: ص 133.

ولمّا اتخذ تجمّع بعض المنافقين طابع التنظيم بادر إليهم النبي (ص)، كما في قضية مسجد ضرار حيث اتخذوا منه مركزاً وأقاموا اتصالات مع عناصر من خارج النظام الإسلامي من قبيل الراهب أبي عامر من بلاد الروم، وأعدّوا مقدمات تحشيد الجيوش لمحاربة النبي (ص)، فبادر إليهم النبي (ص) وهدّم المسجد الذي بنوه وأحرقه، معلناً أنه ليس بمسجد بل بؤرة للتآمر على المسجد وعلى اسم الله والمسلمين[10]! أو تلك الحفنة من المنافقين الذين أعلنوا كفرهم وخرجوا من المدينة وحشدوا قواهم فقاتلهم النبي (ص) وقال (ص): لئن دنَوا من المدينة لأخرجن لقتالهم. وإن سالم (ص) المنافقين في داخل المدينة ولم يتعرض لهم أبداً.

وهكذا فقد واجه النبي (ص) الفئة الثالثة مواجهة منظمة صارمة، لكنه سلك طريق المداراة مع الفئة الرابعة لافتقادهم التنظيم، والخطر الصادر منهم يمثّل خطراً فردياً، كما أنه (ص) كان يؤنبّهم بسلوكه أيضاً.

أما العدو الخامس فهو عبارة عن العدو الكامن في باطن كل مسلم ومؤمن وهو الأخطر من بين جميع الأعداء، وهذا العدو معشعش فينا أيضاً، إنه الأهواء النفسية والأنانية والجنوح نحو الانحراف والضلال والانزلاق الذي يصطنعه الإنسان نفسه، وقد خاض النبي (ص) مع هذا العدو صراعاً مريراً، غاية الأمر أنّ آلة الصراع مع هذا العدو لا تتمثّل بالسيف، بل التربية والتزكية والتعليم والتحذير، فلما عاد المسلمون من الحرب قال لهم الرسول (ص): «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر». فتعجّب المسلمون من قوله وسألوه: «ما الجهاد الأكبر» يا رسول الله؟! لقد خضنا غمار هذا الجهاد المرير، فهل من جهاد أكبر منه؟! قال: نعم، «إنه جهاد النفس»[11]. فإذا ما صرّح القرآن الكريم: {الذين في قلوبهم مرض}[12] فذلك لا يعني أنهم منافقون، بل بعض المنافقين في عداد الذين في قلوبهم مرض، ولكن ليس كل "الذين في قلوبهم مرض" من المنافقين، فربما يكون المرء مؤمناً لكنه في قلبه مرض، فماذا يعني هذا المرض؟ إنه يعني ضعف الأخلاق والشخصية، والشهوانية والجنوح نحو مختلف الأهواء التي إن لم تبادر للحد منها ومقارعتها فإنها ستأتي على الإيمان من الداخل وستؤدي بالتالي إلى خوائك داخلياً، وإذا ما استلب الإيمان منك وخلا باطنك وظل الإيمان ملاصقاً لظاهرك إذ ذاك ستدخل ضمن الذين يطلق عليهم اسم "المنافق"؛ فلو

---

[10] بحار الأنوار: ج 21، ص 263.

[11] الكافي: ج5، ص 12. باب وجوه الجهاد، الحديث 3.

[12] سورة التوبة، الآية: 125.

خلت قلوبنا أنا وأنتم من الإيمان وبقي ظاهرنا متلبّساً بالإيمان، وقطعنا أواصر الإيمان وعلائقه، بَيْدَ أنّ ألسنتنا ظلّت تلهج بالتعابير الإيمانية، فهذا هو النفاق وهو من الخطورة بمكان؛ والقرآن الكريم يصرّح {ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله}13، وذاك هو السوء المبين، ألا وهو التكذيب بآيات الله.

ويقول في موضع آخر: {فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه}14. وهذا هو مكمن الخطر الذي يتهدد المجتمع الإسلامي، وحيثما شاهدتم في التاريخ انحرافاً في المجتمع الإسلامي فإنه يمثّل منطلق هذا الانحراف.

ربما يشنّ العدو الخارجي هجومه ويدمّر ويخرّب لكنه لا قدرة له على الإفناء، وذلك لبقاء الإيمان الذي قد ينهض وتخضرّ أغصانه من جديد، غير أنّ جيوش العدو الداخلي إن هجمت على الإنسان وأفرغت باطنه إذ ذاك سيطال الانحراف سبيله، وحينما وجد الانحراف فإن منشؤه هو ذاك، ولقد تصدّى النبي (ص) لهذا العدو أيضاً.

التأسّي بسلوك وأفعال النبي(ص)

امتاز سلوك النبي (ص) بالتدبير والسرعة في العمل, فلم يدع الفرصة تفوته في أية قضية، كان (ص) طاهراً قانعاً لا وجود لأية نقطة ضعف في وجوده المبارك، كان معصوماً نقياً، وهذا بحد ذاته يمثّل أهم عوامل التأثير. فعلينا الاستلهام منه، والجانب الأعظم من هذا الكلام إنما هو يمسّني أنا بالذات حيث عليّ أن أتعلّم منه، وعلى المسؤولين أن يتعلّموا أيضاً، فالتأثير بالعمل أكثر شمولية وعمقاً من تأثير اللسان.

كان (ص) صارماً صريحاً، فلم يكن ذا وجهين في كلامه، وعندما كان يواجه العدو كان يستخدم معه أسلوباً سياسياً يوقعه في الخطأ؛ فلقد كان يباغت العدو في الكثير من الحالات، سواء في المواقف العسكرية أو السياسية، لكنه كان صريحاً مع المؤمنين ومع قومه على الدوام، نقياً واضحاً في كلامه بعيداً عن الممارسات السياسية، يبدي المرونة في المواطن الضرورية كما في قضية عبد الله بن أُبيّ ذات الأحداث المفصلة[15]، لم ينكث عهداً مع قومه أو مع الفئات التي عاهدها وإن كانوا أعداءً له وبالذات كفار مكة، كانوا هم الذين نقضوا عهودهم فردّ عليهم النبي (ص) رداً قاطعاً، لم ينقض (ص) موثقاً أبرمه مع أحد قط، لذلك كان الجميع على ثقة بالعهد الذي يبرمه معهم، ومن ناحية أخرى لم يهمل النبي (ص) تضرّعه إلى الله سبحانه وكان مواظباً على توطيد أواصر

---

[13] سورة الروم، الآية: 10.

[14] سورة التوبة، الآية:77.

[15] بحار الأنوار: ج41، ص65.

علاقته بالباري جل وعلا يوماً بعد يوم؛ فلقد كان يرفع يد الضراعة إلى بارئه في تلك الأثناء التي ينظم عساكره ويحثّهم ويحضّهم على القتال، وفي ساحة الوغى، عندما كان يمسك بسيفه ويقود جيشه بحزم، أو يعلّمهم ما يصنعون؛ يجثو على ركبتيه رافعاً يديه باكياً مناجياً ربه سائلاً منه العون والإسناد ودفع الأعداء.

لم ينته به دعاؤه إلى الاستغناء عن قواه، ولا استثماره لقوّاته أغفله عن التوسل والتضرّع والارتباط بالله سبحانه، بل كان حريصاً على كلا الجانبين، لم يعتره التردد أو الخوف وهو يواجه عدواً عنوداً؛ ولقد قال أمير المؤمنين (ع) ــ وهو مظهر الشجاعة ــ "كلما اشتدّ الوطيس لذنا برسول الله"[16]، وكان يلوذ به كل من شعر بالضعف.

استمر حكمه عشراً من السنين, لكننا لو أردنا إيكال العمل الذي أنجز خلالها إلى قطاع من أكثر العاملين تفانياً لعجزوا عن إنجاز كل تلك الأعمال والخدمات على مدى مئة عام، ولو قارنّا أعمالنا إلى ما قام به النبي (ص) حينها سندرك المهمة التي اضطلع بها رسول الله (ص)؛ فإدارة الحكم وبناء ذلك المجتمع وصياغة ذلك الأنموذج بحد ذاته يمثّل واحدة من معاجزه (ص)؛ فعلى مدى عشر من السنين عاشره الناس ليلاً ونهاراً، ترددوا على داره وتردد هو على دورهم، كانوا معه في المسجد وفي الطرقات وفي حلّه وترحاله وفي منامه، تحمّلوا الجوع معاً، تذوّقوا طعم السرور معاً، فقد كان الوسط الذي يعيش فيه النبي (ص) مفعماً بالمسرّة وكان (ص) يمازح الآخرين ويقيم السباقات ويشترك فيها، وعلى امتداد تلك السنوات العشر تعمّقت محبة أُولئك الذين عاشروه له وازداد إيمانهم به، وعندما فتح (ص) مكة جاء أبو سفيان متخفّياً برفقة العباس عم النبي (ص) يطلب الأمان، ولما حلّ الفجر رأى النبي (ص) يتوضّأ وقد أحاط به القوم ليحظى كل منهم بقطرات الماء التي تتناثر من وجهه ويديه! فقال أبو سفيان: لقد رأيت كسرى وقيصر ــ وهما من ملوك الدنيا المعروفين بجبروتهم وسطوتهم ــ لكنني لم أرَ عليهم مثل هذه العزة! أجل، فالعزة المعنوية هي العزة الحقيقية {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}17، فالعزة من نصيب المؤمنين أيضاً، إن هم سلكوا ذات الطريق.

في مثل هذه الأيام وبالذات في يوم الثامن والعشرين من صفر غاب هذا النور الإلهي، ورحل هذا الإنسان السامي وهذا الأب الرؤوف من بين أهل الأرض فخلّف فيهم الغمّ والحزن.

---

[16] شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج 13، ص279.

[17] سورة المنافقون، الآية:8.

وكانت أيام مرضه (ص) ورحلته أياماً صعبة بالنسبة لأهل المدينة، وبالذات في تلك الأحوال التي سبقت رحلته (ص) بقليل، فقد توجّه إلى المسجد وارتقى المنبر ثم نادى: ألا من له حق عليّ فليأت ويأخذ حقّه، فضجّ الناس بالبكاء وقالوا له: يا رسول الله، أوَ لَنا حق عليك؟! فأجابهم: الفضيحة أمام الله أشدّ عليّ من الفضيحة أمامكم، فإن كان لكم حق أو دين عندي فهلمّوا خذوه لئلاّ يبقى إلى يوم القيامة.

انظروا أية أخلاق هذه! مَنْ هو الذي يتفوّه بهذه الكلمات؟ إنه ذلك الإنسان الرفيع الذي يفتخر جبرئيل بمحادثته، لكنه في تلك الأحوال لا يقول مزاحاً، بل كان جادّاً لئلاّ يضيع على يديه حق لأحد.. ثم كرر (ص) القول مرتين وثلاثاً ــ وقد وردت تلك القضية في كتب التاريخ ولكنني لا أستحضرها على وجه الدقّة ــ لكن ما تواتر نقله هو: أنّ رجلاً قام وقال: يا رسول الله، لي عليك حق، فلقد كنتُ غير مرة على مقربة منك فضربتَ ناقتك فوقعت الضربة على بطني، وذاك ما أطلبه منك.

فرفع النبي (ص) ثوبه وقال له: هلمّ خذ حقك ولا تدعه إلى يوم القيامة. فأخذ الناس ينظرون وهم حيارى ويقولون: أحقاً يريد هذا الرجل الاقتصاص من الرسول؟! وهل ستسمح له نفسه؟! ثم إنهم رأوا النبي قد أرسل مَن يأتيه بتلك العصا ثم توجّه للرجل وقال له: هاك العصا واضربني ضربة بضربة. فتقدّم الرجل، ودُهش الناس واستحوذت عليهم الحيرة والخجل لئلاّ يفعل هذا الرجل فعلته.. وإذا بهم يشاهدونه يهوي على قدمي النبي (ص) يقبّلهما وهمّ بتقبيل بطن النبي (ص) أيضاً قائلاً: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من نيران يوم القيامة[18].

أللهم إنّا نسألك بمحمد وآل محمد وبعزتك وبجلالك أن تنزل أفضل صلواتك وتحياتك وألطافك ورحماتك حتى قيام الساعة على الروح الطاهرة لنبينا (ص).

أللهم اجزه عن الإسلام والمسلمين وعن البشرية بأجمعها خير الجزاء، واجعلنا من أمته ومن السائرين على صراطه المستقيم، واجعل من مجتمعنا شبيهاً بمجتمعه، ومُنَّ علينا بهمّة اتّباعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

{قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفؤاً أحد}

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[18] أمالي شيخ صدوق: 506.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين سيّما علي أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف القائم المهدي، حججك على عبادك وأمنائك في بلادك، وصلِّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصي كافة الإخوة والأخوات المصلّين بالتقوى والتزام أمر الله ونهيه والحذر من عذابه ورجاء رحمته ونعمته وفضله.

واجب المسلمين تجاه الشعب الفلسطيني

الموضوع الذي من الضرورة أن أشير إليه بإيجاز خلال الخطبة الثانية هو: الأحداث الجارية في فلسطين؛ فقد دفعت الذكرى السنوية لاحتلال هذه الأرض بالأعداء إلى أن يضاعفوا من أحقادهم وضغائنهم تجاه الشعب الفلسطيني، وهذا ليس بجديد على الصهاينة المتسلّطين على فلسطين، فإنهم أوغلوا في الجريمة والقسوة منذ مجيئهم ومازالوا على هذا المنوال حتى يومنا هذا، ولن يترشّح عن وجودهم مادام كيانهم قائماً على الشر والفساد. وإنّ الأمل معقود على المسلمين في كافة أرجاء المعمورة أن لا ينسوا الشعب الفلسطيني, وأن يضعوا هذا الشعب نصب أعينهم ولا يغفلوه أبداً، فلا ينبغي للشعوب الإسلامية أن تغفل شعباً مسلماً.

المؤمّل من الحكومات الإسلامية توفير الإمكانيات الكفيلة للدفاع عن هذا الشعب، وممارسة الضغوط سياسياً على أولئك المساندين لمصالح الصهاينة في العالم, وذلك ما يسعهم فعله؛ من خلال علاقاتهم الثنائية وفي المحافل الدولية ومحادثاتهم العامة والخاصة، لتتوفّر لدى الشعب الفلسطيني إمكانية الدفاع عن نفسه ــ حيث الحق معه وهو الذي يدافع عن حقه ــ بعد أن أثبت العدو المغتصب عدم استعداده للكفّ عن جرائمه.

كما أنّ المؤمّل من الحكومات غير الإسلامية ــ وبالأساس الأوربية ــ أن لا تلتزم الصمت إزاء ما يرتكب من جرائم بحق شعب بأكمله رجالاً ونساءً شباباً وأطفالاً ورُضّعاً.. لماذا هذا السكوت؟! وكيف يدعمون هذا الكيان الغاصب المحتل بالرغم من اقترافه لكل هذه الجرائم؟! أَوليسوا يزعمون الدفاع عن حقوق الإنسان؟! فإن لم يكن زعمهم هذا خداعاً ومكراً وألعوبة سياسية ووسيلة للإغارة على الشعوب، فهذا هو ميدان تجربته حيث تهضم حقوق الإنسان، فليتخذوا موقفهم وليدلوا بدلوهم في إدانة إسرائيل

وأفعالها وممارسة الضغوط عليها كما يجنّدون أنفسهم للدفاع عن حفنة من اليهود في أحد بلدان العالم حينما تطالهم العدالة بتهمة التجسس ويرون من واجبهم التدخّل وإبداء الرأي.

والحال أنّ الأحكام تصدر بحق الجاني بشكل قانوني، فهذا شعب يهضم حقه، فليتدخلوا، ولِمَ لا يتدخّلون؟! فعار على الحكومات الأوربية وغيرها أن تخضع لتأثيرات العناصر الصهيونية والشركات التابعة للصهاينة وأثريائهم، ونحن لا كلام لنا مع أمريكا ولا نأمل منها شيئاً أبداً، فهي لن تفعل شيئاً ولا تقدر على فعل شيء؛ لأن العصبة الحاكمة فيها مرتهنة بقبضة الصهاينة.

الجميع مدينون للشهداء

أما الموضوع الثاني فهو قدوم قافلة الشهداء ـــ وهذا جانب مهم ـــ فإنكم وفي كل مرّة ــ وليس في هذه المرّة فقط ــ تشاهدون حالة عرفان القدر لدى الشعب على حقيقتها، وإنّ ما أقوله هنا هو تعبير شخصي عن عرفان القدر، وإلاّ فإنني على علم بعدم حاجتكم للتوصية، وعرفان القدر من سجاياكم، وإنّ ما يشعر به هذا الشعب من عزة واقتدار وأمان، وهذه الفرصة المتاحة أمام جامعات البلاد ومصانعها وأمام الحكومة وسائر أجهزة الدولة لأداء واجباتها وأعمالها اليومية المعتادة، إنما كانت ببركة هذه الأجساد القادمة التي عُثر عليها خلال عمليات التنقيب.. لقد مضى هؤلاء فطردوا العدو وحققوا للوطن عزّته, وطهّروا حدودنا من دنس العدو المتغطرس، من هنا فالواجب يحتّم معرفة قدرهم، وينبغي لكل من يعيش في هذا البلد أن يعتبر نفسه مديناً لهؤلاء الشهداء، والقافلة هذه جزء من ركب الشهداء العظيم, وواجبنا جميعاً تكريمهم.

أهمية الانتخابات الرئاسية

القضية الأساسية التي أنوي التطرّق إليها اليوم هي قضية الانتخابات، فهي في غاية الأهمية فلا تستصغروها، وهذا هو حال كافة الانتخابات في البلاد، غاية الأمر أنّ انتخابات رئاسة الجمهورية تحظى بأهمية أكثر.

إنّ انتخابات رئاسة الجمهورية مظهر لتحرر الشعب الإيراني وقدرته على الانتخاب وتكامله، وعار على شعب يشارك 35 أو 40% من الذين يحق لهم التصويت في انتخابات رئاسة الجمهورية فيه ــ كما تشاهدون ذلك عن بعض الشعوب بالرغم من الضجيج والتهويل ــ فذلك ينم عن فقدان ثقة الشعب بنظامه السياسي, وعدم اكتراثه به وحالة الإحباط التي يشعر بها إزاءه؛ فقبل إجراء الانتخابات الرئاسية الأخيرة في أمريكا كانت هناك مقابلات صحفية مع عدد من الأمريكيين وسُئلوا عمّن سيصوّتون لصالحه، فكانت أجوبتهم تتراوح بين: ما الفائدة؟ ما الفرق؟ لا أصوّت! وهكذا كانت النتيجة، فقد

شارك في الانتخابات ثلاثون ونيّف بالمئة من الذين يحق لهم التصويت.. أما في إيران الإسلامية فيشاركون في الانتخابات سبعون أو خمسة وسبعون أو ثمانون بالمئة ممن يحق لهم التصويت، وهذه مفخرة كبرى؛ إذ إنّ في ذلك دلالة على وقوف الشعب على قدميه وهو الذي يراقب شؤون البلاد بنفسه, وهو الذي يريد اتخاذ القرار على صعيد هذه القضية.

إنّ المشاركة الجماهيرية في الانتخابات تمثّل واحدة من أهم مظاهر الاقتدار الوطني، وما طرحناه في مطلع هذا العام باعتباره عام الاقتدار الوطني فإننا جميعاً نتحمّل مسؤولية النهوض به، غاية الأمر أنّ لكل منّا دوره، وإنّ إحدى دعائم الاقتدار الوطني هي الحضور الجماهيري لدى صناديق الاقتراع, والإدلاء بالآراء وانتخاب رئيس الجمهورية.

ومن الطبيعي اختلاف الناس بالأذواق، كما أنّ المرشّحين متعددون ولكل منهم ذوقه ورأيه، واختيار الشعب يقع على واحد منهم، وهذه تمثّل المرحلة اللاحقة.

أما المرحلة الأولى فتتمثّل في مشاركة الجميع في هذا الاختبار العام؛ ليثبت الشعب الإيراني أنه شعب حيّ ذو اهتمام بمصير وطنه.

والمراقبون في شتّى أصقاع الدنيا يحسبون لذلك حسابه، وكثير منهم يعلمون، فيما شاهد آخرون وطالع بعضهم في الملفات أنّ أبناء هذا الشعب منذ الحركة الدستورية وحتى قبيل انتصار الثورة ــ حيث كان الفاصل الزمني ما يقرب من ستين عاماً ــ قليلاً ما توجّهوا نحو صناديق الاقتراع في الانتخابات النيابية، يومها كانت زمام الأمور بَيْدَ عائلة عميلة، لكنهم اليوم يشاهدون نزول الشعب الإيراني إلى الساحة وهو الذي يختار مسؤوليه؛ وفي ذلك عزّة ومفخرة كبرى للشعب الإيراني.

الأمر الآخر هو: أنّ على أبناء شعبنا جميعاً أن يعلموا أنهم سيحصدون ما يزرعون، فربما لا يشترك البعض في الاقتراع لكنهم يقولون فيما بعد لماذا حصل الأمر الفلاني؛ فعليكم المشاركة وانتخاب مَنْ ترون فيه القدرة على هذه المهمة وترتضونه يتحقق يقع ما تصبون إليه.

فلا تصح منّا عدم المشاركة, ثم نعترض إن لم يتحقق ما نطمح إليه! وهذه هي نتيجة عدم المشاركة، فيجب على الجميع المشاركة، وذلك واجب إسلامي ووطني تتوقّف عليه عزّة البلاد وشوكتها، وهي واجب سياسي, حيث يتعيّن على من يتحلّون بالفهم والتحليل السياسي النزول إلى الساحة، كما أنها واجب أخلاقي, حيث تقتضي حقوق الشعب النزول إلى الساحة، أضف إلى ذلك أنّ الأعمال التي ينبغي أن تنجز في بلدنا تستدعي أن ينزل المرء إلى هذا الميدان.

اغتنموا الانتخابات واعرفوا قدرها وشاركوا فيها فهي حدث في غاية الأهمية.

إنّ لرئيس الجمهورية مقاماً رفيعاً في قانوننا الأساسي, الذي ألقى على عاتقه مسؤوليات جسيمة تضمّنتها مختلف مواد القانون، كما أنّ رئيس الجمهورية يحظى بصلاحيات وإمكانيات كثيرة أيضاً، وهي فريدة من نوعها على صعيد قانوننا الأساسي؛ فرئيس الجمهورية يتمتع بصلاحيات واسعة إذ يمسك بالسلطة التنفيذية وبميزانية البلاد والوزارات جميعاً، وحقيق بأبناء الشعب أن يشعروا بالمسؤولية إزاء هذه القضية، ولحسن الحظ فالذين دخلوا الميدان متعددون وبمقدورهم تبعاً لذلك استقطاب مختلف الأذواق نحوهم، وعلى هؤلاء توخّي الدقّة والتعقّل والتخطيط والرجاء من الله سبحانه أن يوفّقهم لما فيه خير وصلاح هذا الشعب؛ إنهم يتمتعون بالصلاح من الناحية القانونية، بَيْدَ أنّ مراتب الصلاح ليست سواء، فهنالك الصالح والأصلح، ومراتب التشخيص تختلف فيما بينها، فثمة مَنْ يضع ملاكاً معيّناً يحدد الأصلح في ضوئه، فيما يرى آخر غير ذلك ملاكاً، ولا إشكال في ذلك، وينبغي أن لا يؤدّي إلى الاختلاف، وليس من دواعي التفرقة والتشتت أن تؤيد فئة مرشّحاً, فيما تؤيّد طائفة أخرى مرشّحاً آخر، فما المانع في ذلك؛ فالقانون هو الذي يريد لأبناء الشعب الانتخابات في ضوء أذواقهم.

إنّ الذي يحوز أكثرية الأصوات من بين هؤلاء سيصبح رئيساً للشعب الإيراني بأسره وليس رئيساً لأولئك الذين صوّتوا لصالحه فقط، أي يجب على الشعب الإيراني بأجمعه اعتباره رئيساً للجمهورية، ومن مسؤوليتهم الحفاظ على منصبه كرئيس للجمهورية وصيانة منزلته، وفي المقابل يتعيّن عليه أن يرى نفسه مكلّفاً برعاية حقوق كافة أبناء الشعب، سواء أولئك الذين منحوه أصواتهم أو الذين صوّتوا لغيره أو مَنْ نافسوه في الانتخابات، فتلك ثمرة القانون وفعله.

وبطبيعة الحال فإن الذي يقع عليه الاختيار سيحظى بدعم القائد أيضاً، وهذا المنوال هو المتّبع منذ انتصار الثورة وحتى يومنا هذا؛ كي يتمكّن رئيس الجمهورية المنتخب من أداء مهامه، وهذا الدعم سيستمر ما لم يبدر منه مخالفة للقانون، وذلك لتتوفّر لديه القدرة على إنجاز أعماله, وحثّ الخطى إلى الأمام.

مسؤوليات رئيس الجمهورية

إنّ رئيس الجمهورية يتحمّل مسؤوليات جمّة أهمّها مسؤوليتان، وبطبيعة الحال يجب استثمار كافة المواهب والقابليات والإمكانيات التي يتوفّر عليها بلدنا، ويجب أن توضع متطلّبات الوطن ــ الراهنة منها والمستقبلية ــ نصب العين أثناء اتخاذ القرارات، وأن تكون العدالة هي المحور الأساسي، وتتم المحافظة على الأمن الشامل للبلاد اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وصيانة كرامة أبناء الشعب؛ فلابد أن يشعر الشعب بالأمن على

أرواحهم وممتلكاتهم وأبنائهم وأعراضهم وأفكارهم ومعتقداتهم وثـــرواتهم ونشـــاطاتهم الاقتصادية وهم يعيشون تحت ظلال نظام الجمهورية الإسلامية، والقـــانون الأساســـي يضمن لأبناء الشعب صحتهم وعزّتهم وهويتهم الوطنية والتطور العلمي للبلاد، ويعنـــى باقتدار الجهاز الإداري وتطهيره من الفساد؛ فكلها مسؤوليات جسيمة حَرِيّة بالاهتمـــام، وبديهي تعذّر إنجاز كل هذه المسؤوليات خلال ظرف أربع سنوات، فالكثير منها إنمـــا يتيسّر تحقيقه على المدى البعيد, حيث يتعيّن مجيء آخرين ومتابعتهـــا, وعلـــى مـــدى مراحل متعددة؛ كي تؤتي أكلها، غاية الأمر لابدّ من تعيين مسارها.

ومن بين كل ذلك ثمّة أمران لهما الأهمية على مَن تمخّض التصـــويت عـــن فـــوزه بأغلبية الأصوات وأفضت عملية التصويت عن وصوله إلى رئاسة الجمهوريـــة بكـــل سلام وعافية وأمان وهدوء إن شاء الله، أن يوليهما اهتمامه: أولهما عبارة عن الانتعاش الاقتصادي وعملية إغناء البلاد بمعالجة المشكلات وإصـــلاح الشـــؤون الاقتصـــادية، وثانيهما الارتقاء بمستوى الوعي الديني.

أما المسائل الاقتصادية فتتميّز بأهميتها القصوى، ولقد كان لنا حديث عن الاقتـــدار الوطني, وأنّ الجميع لديهم القناعة بذلك ــ أي أنّ الجماهير والمسؤولين يـــرون فـــي الاقتدار الوطني شعاراً وبريقاً ترنو نحوه أنظارهم ــ وتلك هي الحقيقة؛ لأن الاقتـــدار الوطني لا يختص بزيد أو عمرو وإنما هو اقتدار شعب وبلد، فكيف ينال هذا الاقتدار؟

إنّ الاقتدار الاقتصادي يمثّل ركناً من أركان الاقتدار الوطني؛ بمعنى أن تتوفّر لـــدى البلد القدرة على ترصين عملته الوطنية, وأن يكون له حضور مـــؤثّر فـــي الأســـواق العالمية واستثمار إمكانياته لإنعاش الوضع الاقتصادي، واجتثاث الفقر أو الوصول بـــه إلى أدنى المديات على أقل تقدير، والظهور أمام العالم كبلد غني ثري، وإظهار اقتـــدار النظام فيه؛ هذا هو الاقتدار الاقتصادي، ويُفترض بالمسؤولين في القطاع الاقتصـــادي إنجاز هذه المهام.

كما يعني الاقتدار الاقتصادي خلو البلد من البطالة, وتوفّر فـــرص العمـــل وبلـــوغ الإنتاج الصناعي والزراعي مستواه المنشود والاستغلال الأمثل للمصادر المعدنية فـــي البلد؛ فذلك مما يعد اقتداراً اقتصادياً تتحمل مسؤوليته مختلف المرافق في البلاد.

والاقتدار السياسي يمثّل واحداً من أركان الاقتدار الوطني، فما هو يا ترى الاقتـــدار السياسي؟

إنه يعني امتلاك البلد وحكومته القدرة على الحضور الفاعل في الســـاحة السياســـية العالمية، ورفض ما يملى عليهم سياسياً، فلا قدرة لأحد على التعامل معهم بعنجهية, أو التدخّل في شؤونهم السياسية, أو دسّ أنامله في شؤونهم الداخلية قاصداً الإيذاء؛ فالاقتدار

السياسي ــ الذي يمثّل أحد أبعاد الاقتدار الوطني ــ هو أن تكون لدى الفئات والتنظيمات السياسية في البلد ــ سواء منها التي تحمل مسمّى حزب أو تنظيم أو تلك التي لا تحمل هذا الاسم، فكثير هي التجمّعات الطلابية والحوزوية وسائر المجاميع في البلاد تنشط سياسياً وإن لم يطبعها التنظيم الحزبي ــ القدرة على التحلّي بالوعي السياسي والتشخيص السياسي الصائب؛ ليتسنّى لها الاصطفاف خلف الحكومة أثناء الحالات الضرورية.. إنّ الاقتدار السياسي يتمثّل في الدعم الجماهيري للحكومة والقرارات التي يتخذها المسؤولون في البلاد، وذاك بعد من الاقتدار السياسي.

وهكذا بالنسبة للاقتدار الثقافي، أي أن يكون البلد مؤثراً لا متأثراً من الناحية الثقافية، ويحسن التصدي للغزو الثقافي، وكل ذلك منوط بالقدرة المالية للجهاز الذي يتولى إدارة هذه المرافق وشعور أبناء الشعب ــ الذين يتوقون لدعم الحكومة ــ بالانفراج الاقتصادي.

إذاً فالقضية الاقتصادية ذات تأثير في أمن البلاد وثقافتها وعزّتها ومنطقها السياسي وحضورها على المستوى العالمي، ولها بالغ الأهمية.

والإسلام يعتبر تدبير الشؤون الاقتصادية للأمة من أولى الواجبات، وقد ورد عن رسول الله (ص) قوله: "كاد الفقر أن يكون كفراً"[19]. ومفاد هذا الحديث هو أننا جئنا لنغذّي الناس بالإيمان فإن عجزتم عن إيصال لقمة العيش إليهم بيسر فإن نتيجة ذلك ستكون ضياع إيمانهم، وهذا هو واقع الأمر.

إنّ مكافحة الفقر وإنعاش الوضع الاقتصادي في البلاد يعد من أهم الأمور، وعلى الذي يصبح رئيساً للجمهورية ــ بعونه تعالى ــ أن يضع قضية إنعاش الاقتصاد وتطوير القطاع الاقتصادي في البلد ومعالجة مشاكل المواطنين في مقدمة برامجه.

أما الثاني فهو الارتقاء بثقافة الشعب وفكره وعمله الديني.. وكما قلت في الخطبة الأولى فإنه بمثابة المنهل الذي يغذّي كافة النشاطات بالطاقة؛ فإن ترسّخ إيمان أبناء الشعب تحوّل أبناؤه إلى كيانات صلبة فعالة ناشطة لا يعتريها الكلل، أما إذا وهنَ إيمانهم فستكون عاقبته تكالب الآفات.

إذاً ترصين الإيمان لدى الجماهير يمثّل واحدةً من المهمتين الأساسيتين اللتين يتحتّم على الحكومة المستقبلية وعلى الرئيس المقبل ــ اللذين سيتقرر مصيرهما بعد الانتخابات ــ شد حزام الهمّة لإنجازهما.

---

[19] الكافي: ج2، ص307. باب الحسد، الحديث 4.

لقد تقدّم القول منّي: بأن أربعاً من السنين ليست بالبرهة الوجيزة، ولكن لـــيس مـــن السهولة إنجاز كافة الأعمال خلالها أيضاً، ولطالما نوّهت أمام المسؤولين إلى ضرورة تعيين قضية أو قضيتين أو ثلاث في الجانب الاقتصادي ــ من قبيل قضية العمـــل ــ وإيلائها الاهتمام منذ البداية وحتى مرحلة الإنجاز، وفي بداية هذا العام أعلنتُ عنه عاماً لتوفير فرص العمل النافع، وهذه القضية في غاية الأهمية، إذ ينبغي أن لا تُضيّع طاقات الشباب هدراً، أضف إلى ذلك من الضروري عدم إجحاف حقوق قطاع عـــريض مـــن الجماهير وحرمانهم من خيرات البلد, نتيجة عدم توفّر فرص العمل وانعـــدام الـــدخل؛ فنظراً إلى ما ينجم عن البطالة من اتّساع الهوّة بين الفقراء والأغنياء فإنه يهوي بالبعض إلى واد سحيق من الفقر، فيما يرفع في المقابل طائفة أخرى إلى أعلى قمم الثراء مـــن خلال سلوكهم شتّى السبل، وهذا هو المرفوض.

ولو تركّزت جهود كل حكومة على قضية مثل توفير فرص العمل ــ دون أن تهمل باقي الأمور ــ بإنعاش الإنتاج الصناعي والزراعي، فمن المسلّم به أنّ الجماهير ستشهد آثار ذلك على امتداد السنوات الأربع.

كما أنّ قضية الفساد التي أشرنا إليها من الأهمية بمكان، وإنّ أبناء شعبنا العزيز على علم بذلك دون تصريح منّي، لكنني أقول مؤكداً: لو أنّ مجتمعاً كان غنياً بثروته لكنـــه يسيء استغلالها فإن ذلك أكثر سوءاً من عدم وجودها؛ وذلك لبقاء حالات الحرمان على وضعها, بالإضافة إلى الإفساد الذي يتسبّب به حفنة من الأثرياء الذين نالوا ثرواتهم من خلال الطرق غير المشروعة والفاسدة؛ فالعوز الذي تنوء به بعض طبقات المجتمع هو بحد ذاته مدعاة للفساد ــ فالفساد والإدمان وشتّى الرذائل ما هي إلاّ تبعات للفقر ــ كما أنّ ثراء البعض عبر الطرق الفاسدة بمثابة مستنقع آخر للفساد يجـــري تحـــت أقـــدام الشعب؛ لذلك لابدّ من مكافحة الفساد.

إنني أتقدّم بالشكر لرؤساء السلطات الثلاث على استجابتهم لهذه القضية، ولكن لابـــدّ من المتابعة الجادّة؛ فالأمر لا يتمّ بتصريح منّي واستجابة من رؤساء السلطات الثلاث، ولقد نوّهتُ في رسالتي إليهم: بأن مكافحة الفساد نتيجتها الاستعداء، فكل مـــن يتطلّـــع لمكافحة الفساد سيبرز أمامه طابور من الأعداء، ولكن مَنْ هم هؤلاء الأعـــداء؟ إنهـــم المفسدون وحشودهم؛ فللمفسدين جيوشهم، وهم الذين يتصدّون عبـــر العراقيـــل التـــي يفتعلونها، وليس هذه العراقيل تقتصر على الاعتداء بالآلات الجارحة ــ مثلاً ــ بـــل هنالك ما هو أخطر منها اليوم، من قبيل توجيه التّهم، وإثارة الإشاعات، والعمل الثقافي وإلصاق مثل هذه الأباطيل ظلماً وزوراً بمن يتطلعّون للقيام بهذه الإجراءات؛ فلابدّ من مواجهة هؤلاء والنزول إلى الميدان بكل صدق وصراحة، ولابدّ من إنعاش هذا النشاط

الاقتصادي وبذل الجهود لبلوغ التطوّر الثقافي والديني والإيماني، ولابدّ من استمرار مكافحة الفساد من قِبَل الجميع ــ سواء من قِبَل رئيس الجمهورية الذي سيقع اختيار الشعب عليه أو سائر السلطات ــ بنحو يشعر معه أبناء الشعب بأنهم يسيرون باتجاه الصلاح بإذنه تعالى.

توصيات للمرشّحين

هنالك بعض التوصيات للمرشّحين إلى رئاسة الجمهورية؛ ففي مقام التقييم وإبداء الرأي بشأنهم أقول: إنّ نظرتنا إليهم واحدة، وبطبيعة الحال فإن المرء يفضّل شخصاً على آخر في داخله، وهذه مسألة شخصية وقلبية، بَيْدَ أنّ نظرتنا واحدة لجميع هؤلاء العشرة الذين وردوا الميدان وظهرت صلاحيتهم في ضوء القانون ولا نرجّح واحداً منهم على الآخر، وأنا كأحدكم عليّ التثّبت لاختيار الأصلح والتصويت لصالحه، وعليكم أنتم أيضاً ممارسة دوركم، فإن كنتم قادرين على التشخيص فبها، وإلاّ فاسألوا مَن تتوفّر فيه الأمانة.

على أية حال فإنني أوصي السادة المحترمين الذين يخوضون غمار هذا الميدان بعدّة وصايا, هي: ألا يهملوا قيم النظام في دعاياتهم, ولا يسقّط بعضهم بعضاً، وأن يتجنّبوا تقديم الأرقام الواهية، وإن شاؤوا تقديم الإحصائيات للجماهير والتحدّث معها فعليهم بالإحصائيات الدقيقة والتزام الصدق في الكلام، والبوح للجماهير بما يؤمنون به، وهذا الصدق هو الذي يترك مزيداً من الأثر في قلوب الجماهير إن هم أرادوا ذلك.. ليصارحوا الشعب بما تضمره عقائدهم ونواياهم، ويبقى الخيار للشعب فهو يختار ما يشاء، وليتجنبوا الإخلال بالوحدة الوطنية، فلا يدلوا بما من شأنه إلحاق الضرر بالوحدة الوطنية بغية استقطاب فئة أو طائفة من الناس، ولا يطلقوا من الوعود ما يتعذّر تحقيقه، بل ليطرحوا أمام الشعب ما يؤطّره القانون الأساسي وما تُنبّئ عنه إمكانيات البلاد.

أجل، ليعدوا الشعب بالإمساك بإدارة البلاد العليا والمضي قُدُماً بكل ما وسعهم من قوة وبالاتّكال على الله سبحانه والثقة بالشعب إن هم أحرزوا أصوات الشعب، {فخذها بقوة}، فليأخذوا هذا التكليف بقوة, وليغذّوا السير إلى الأمام دون وهن، وليتجنّبوا الدعايات المكلفة؛ فمن الأمور التي كانت تشغل ذهني على الدوام ــ سواء أثناء انتخابات مجلس الشورى أو انتخابات رئاسة الجمهورية ــ هو أن يتجنبوا الدعايات الباهظة, ولا يسمحوا لأنصارهم بالإسراف أيضاً.

وربّ قائل يقول: لا شأن لي فالآخرون هم الذين يسرفون، كلا, مروهم أنتم.. ولحسن الحظ فقد سمعت بتخصيص مزيد من الوقت للمرشّحين لمحاورة أبناء الشعب عن طريق الإذاعة والتلفزيون، ولعلّ ثلاث عشرة أو أربع عشرة ساعة تعد فرصة

كافية للمرشّحين للتحادث مع الجماهير، وهذا نمط جيد من الدعاية؛ فالإذاعة والتلفزيون تطلّ على كل مكان، فما الداعي لهذه الأساليب من الدعاية المتنوّعة التي تستهلك أموالاً طائلة، ولعل البعض يعجز عن تأمين النفقات فيضطر إلى الاستقراض والاستدانة من الآخرين ــ لا سمح الله ــ!

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الاختبار اختباراً رائعاً زاهياً ميموناً مباركاً بالنسبة لشعبناً، ونسأله تعالى كل ما فيه خير وصلاح شعبنا وبلدنا وفيه مرضاته بيسر وكمال.

بسم الله الرحمن الرحيم

{إنا أعطيناك الكوثر * فصلِّ لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر}

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته